



International Journal of Humanities and Educational Research

Volume 2, Issue 3, October 2020, p.48-62

İstanbul / Türkiye

**THE IDEA OF RULING THE WORLD ACCORDING TO
GENGHIS KHAN (TEMUJIN) AND THE EXTENT OF ITS
EMBODIMENT ON THE GROUND
(549-623 A.H./1155-1227 A.D.)**

<http://dx.doi.org/10.47832/2757-5403.3-2.4>

AHMED DJELAILI ¹

Abstract

The history of Central Asia in the seventh century AH / thirteenth century AD was associated with a Mongolian figure known as Temujin (Genghis Khan), who was able in a short time to unify all the tribes of Mongolia and the stiffs under his authority, and then he was able to control the vast lands of northern China and Turkestan, then overthrew the Khwarezmid state that The rule of vast lands from Transoxania and Khorasan to the outskirts of the city of Iraq, thus terrifying the Abbasid Caliphate, which was going through a period of weakness, and the rulers and kings of Europe, headed by the Pope, rushed to send successive embassies to Temujin (Genghis Khan) to form an alliance with him in order to strike the Muslims, but without Feasibility, the latter did not believe in bipolarity, as he considered himself the only ruler of the world, and he asked the ambassadors either to subordinate to him or to declare war and subjugate Europe by the sword.

The article tries to study the historical texts that dealt with the crystallization of the idea of Genghis Khan's control over the world, and he gave this idea a religious sanctity according to which destructive wars were waged against anyone who does not believe in it, and the article tries to follow the historical accounts that touched on the character of Genghis Khan, which sparked widespread controversy in the history of Asia. Central. How was he able to unify the Mongolian tribes and came to power? Where did he come up with the theory of divine mandate and the attempt to rule the world? Is it from the Chinese civilization or from the Turks and Russians? How did he embody his idea on the ground?.

Keywords: Timogen, Genghis Khan, Mongols, Rule the World, Divine Mandate.

ISSN: 2757-5403

Article Information

Article History:

Received
03/09/2020
Accepted
27/09/2020
Available online
01/10/2020

This article has been
scanned by **iThenticate**
No plagiarism detected

Copyright © Published
by Rimak Journal,
www.rimakjournal.com

Rimar Academy, Fatih,
Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

¹ Dr.: Ahmed DJELAILI, Université Ahmed Draia, Adrar, Algeria. djellailiahmed@yahoo.fr

IJHER

International Journal of Humanities and Educational Research

Volume 2, Issue 3, October 2020, p.48-62

فكرة حكم العالم عند جنكيزخان (تيموجين) ومدى تجسيدها على أرض الواقع (549-623هـ/1155-1227م)

أحمد جلايلي²

ملخص

ارتبط تاريخ آسيا الوسطى في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بشخصية مغولية عرفت باسم تيموجين (جنكيزخان) الذي استطاع في وقت وجيز توحيد جميع قبائل منغوليا والإستبس تحت سلطته، وتمكن بعدها من السيطرة على أراضي شاسعة من الصين الشمالية والتركستان، ثم أطاح بالدولة الخوارزمية التي كانت تحكم أراضي شاسعة من بلاد ما وراء النهر وخراسان إلى مشارف مدينة العراق، فأرعب بذلك الخلافة العباسية التي كانت تمر بفترة ضعف، وقد سارع حكام وملوك أوروبا وعلى رأسهم البابا إلى إرسال سفارات متتالية إلى تيموجين (جنكيزخان) لعقد تحالف معه قصد ضرب المسلمين ولكن دون جدوى، فهذا الأخير لم يكن يؤمن بالثنائية القطبية فقد اعتبر نفسه الحاكم الوحيد للعالم، وطلب من السفراء إما التبعية له أو إعلان الحرب وإخضاع أوروبا بحد السيف.

ويحاول المقال دراسة النصوص التاريخية التي تناولت تبلور فكرة سيطرة جنكيزخان على العالم، وقد أعطى لهذه الفكرة قداسة دينية تم بموجبها شن حروب مدمرة ضد كل من لا يؤمن بها، كما يحاول المقال تتبع الروايات التاريخية التي تطرقت إلى شخصية جنكيزخان التي أثارت جدلاً واسعاً في تاريخ آسيا الوسطى. كيف أستطاع توحيد القبائل المغولية ووصلت إلى الحكم؟ ومن أين أتى بنظرية التفويض الإلهي ومحاولة حكم العالم؟ هل من الحضارة الصينية أم من الأتراك والروس؟ وكيف جسد فكرته على أرض الواقع؟

الكلمات المفتاحية: تيموجين، جنكيزخان، المغول، حكم العالم، التفويض الإلهي.

المقدمة

إن تاريخ الزعيم المغولي تيموجين المعروف في كتب التاريخ باسم (جنكيزخان) الذي حكم أراضي واسعة من قارة آسيا في الفترة الوسيطة قد ارتبط في المصادر والمراجع التاريخية بحروبه المدمرة التي شنّها ضد أراضي العالم الإسلامي التي حكمتها كل من: الدولة الخوارزمية في بلاد ما وراء النهر والخلافة العباسية في العراق، وقد سبق لجنكيزخان أن شن عدة حملات عسكرية ضد الإمبراطورية الصينية واجتاز صور الصين العظيم واحتل العاصمة بكين في سنة 611هـ/1215م. وقد قسر الكثير من الباحثين تلك الحملات العسكرية التي شنّها أنها كانت بدافع السيطرة على الطرق التجارية العالمية في ذلك الوقت وهذا وارد جداً

² الدكتور: أحمد جلايلي، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر. djellailiahmed@yahoo.fr

ولكن كانت فكرة التفويض الإلهي أو تجسيد إرادة السماء في توحيد العالم تحت سيطرته واردة في مخيلة جنكيزخان وعمل على تجسيدها على أرض الواقع.

1. إشكالية البحث: فكرة التفويض الإلهي التي جاء بها جنكيزخان من أجل توحيد القبائل المغول وإخضاع جميع البشر لسلطانه. وتفرعت عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات منها:

أ. من أين أتى جنكيزخان بالفكرة؟

ب. كيف أقنع بها القبائل المغولية والقبائل المنظمة الأخرى؟

ت. ما هي الآليات والمؤسسات التي ابتكرها لكي يطبق فكرته على أرض الواقع؟

ث. من هذا المنطلق جاءت فكرتي لإعادة قراءة الروايات التاريخية التي يتخللها الغموض ودراستها دراسة نقدية للخروج بنتائج منطقية وموضوعية لا يتخللها الشك.

أولاً: توحيد جنكيزخان القبائل المغولية وتأسيس الدولة

عند وفاة "يسوكاي بهادر" كان ابنه تيموجين (جنكيزخان) يبلغ من العمر 13 سنة فقامت والدته "ويلون" بترسيخ فكرة أخذ الثأر من قبائل "التانجوت" الخونة - حسبها - في أبنائها، وخاصة جنكيزخان، وضرورة استرجاع أمجاد قبيلة "قيات"، وراحت تحكي لهم قصص أمجاد رجالات القبيلة القديمة، وتقص لهم عن جنسهم وعن جدتهم الحكيمة "آلان غوا" وجددهم "بودوتشار"، وعن مآثر أسلافهم المجيدة "خابول قاغان" و"أمباغاي قاغان"، و"خوتول قاغان"، ووالدهم "يسوكاي"³، الذي توفي وهو يدافع عن مصالح القبيلة، وكان الفتى "تيموجين" (جنكيزخان) يزداد فخراً بأجداد قبيلته كل يوم ويروده حلم توحيدها من جديد بعدما أصابها الضعف والهوان، بل راودته أحلام توحيد جميع قبائل المغول تحت سلطته.

وقد أصبح تيموجين (جنكيزخان) بعد الصعاب التي تعرض لها بعد وفاة والده "يسوكاي بهادر" يدرك جيداً بأن فوق ذاته وإرادته الشخصية تُوجد إرادة الإله الخالد (مونكي-تنكري) في السماء الزرقاء، وكان على الدوام يعلم علم اليقين أنه يُوجد إله أعظم فوق جميع تلك الآلهة التي يعبدها المغول، وكانت إرادته في ذلك الوقت كانت توحى إليه بقوة غير مألوفة يحس بها⁴. وهو شعور وجداني داخلي كان تيموجين (جنكيزخان) يحس به.

وفي تلك الفترة من تكوين شخصية الفتى المغولي بَرَزَ في حياته وحياة المغول شخص (ساحر) كان من ثقات القوم يُطلَقون عليه اسم "بت-تنكري"، قد قضى أياماً عدة عارياً بين الصحراء والجبال في البرد الشديد ثم عاد وقال لهم: تحدث إلى ربي قائلًا: "لقد مَنَحْتُ وجه الأرض قاطبة إلى تمرجين وأولاده وقد أسميته

³ ي.إ. كيتشانوف: حياة تيموتشين (جنكيزخان) الذي فكر في السيطرة على العالم الشخصية والعصر، ترجمة، طلحة الطيب، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، 1426هـ/2005م، ص. 84-85.

⁴ ب.يا. فلاديميرستوف: حياة جنكيز-خان الإدارية والسياسية والعسكرية، ترجمة من الروسية للإنجليزية د.س. ميرسكي، ترجمة إلى العربية سعد بن محمد حذيفة الغامدي، جامعة الملك سعود، الرياض-السعودية، 1403هـ/1983م، ص. 39.

جنكيزخان، فأخبره بهذا حتى يبسط بساط العدل"⁵. وردت نفس الرواية عند المؤرخ ابن العبري حيث ذكر: "وفي أثناء هذا الأمر ظهر بين المغول أمير معتبر كان يسبح في الصحاري والجبال في وسط الشتاء عرياناً حافياً ويغيب أياماً يأتي ويقول: كلمني الله وقال لي أن الأرض بأسرها قد أعطيتها لتيمجين وولده وسميته جنكيزخان فسماهُ جنكيزخان تبت تنكري"⁶. وفي رواية أن الساحر "تاب-تانغري" كان يزور تيموجين ويقول له: الإله قضى بأن تُصبح حاكماً للعالم، وأطلق عليك اسم "جنكيزخان" بإرادة الإله"⁷. وكان هذا الشخص (الساحر) هو الشامان⁸ "لنا" ابن الزعيم المغولي "موناليك كوكوتشو" الذي كان مفضلاً عند ساكني السماء "طب-تينغري" وهو الذي أوحى إلى تيموجين فكرة "السيادة الكونية" أو "حكم العالم"، وخلق عليه لقب "جنكيزخان"، وكان دائماً يتردد عليه ويخبره قائلاً: "أراد الله أن تصبح حاكماً للكون، وخلق عليك الرسالة الجنكيزخانية، ومشية الله أن يكون اسمك هكذا"⁹. والغريب أن مصير ذلك الشامان كان مأساوي، حيث تشاجر مع أحد أبناء جنكيزخان في إحدى الولائم وحصلت بين الطرفين مشادات كلامية ما فتأت أن تحولت إلى شجار فطرح ابن جنكيزخان ذلك الشامان أرضاً وأرداه قتيلًا¹⁰. وهذا طبيعي بما أنه هو صاحب الفكرة التي أوحاها إلى جنكيزخان فكان من الضروري التخلص منه قبل أن يقوم بإفشاء سره وفضحه بين قبائل المغول قاطبة.

وهناك رواية أخرى تخبرنا بأن جنكيزخان هو اسم أحد قدامى الأرواح المغولية التتارية "تانغري"، وقد عُثر في إحدى المخطوطات المغولية إشارة إلى وجود روح "خاجر جنكيز تانغري". ويُعتقد أن تيموجين (نفسه جنكيزخان) حصل على هذا اللقب من الروح النورانية، التي عبدها السحرة المغول آنذاك، ومن ثم هو مُختار

⁵ الجويني علاء الدين عطا ملك: تاريخ فاتح العالم جهن كشا، تحقيق وتصحيح: محمد عبد الوهاب القزويني، ترجمة: السباعي محمد السباعي، المركز القومي للترجمة، القاهرة-مصر، 2007م، مج1، ص. 77.

⁶ ابن العبري غريغوريوس أبي الفرج بن أهرن الطبيب الملطي: تاريخ مختصر الدول، صححه وفهرسه الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، لبنان، 1415هـ/1994م، ص. 394-395.

⁷ كيتشانوف، المرجع السابق، ص. 131.

⁸ الشامانية (shamanism) هي مصطلح مؤنث، مأخوذة عن المصطلح الروسي "شامانكا" أي الشامانة أو العرافة، وهي تستعمل للدلالة على كل شخص محترف لتلك المهنة، وكلمة "شامان" بمعناها المذكور لا توجد إلا عند قبائل التونغو، أما مغول البريات والياكوت والقرغيز... الخ، فيستخدمون الكلمة نفسها أي الشامانية، أما أترك لألتاي فيستخدمون كلمة "كام"، والشامانية هي معتقد ديني ظهر بين الشعوب لألتاي والمغول منذ القديم، وهي تؤمن بوجود إله واحد يتحكم في المناطق العلوية من السماء، ويسمى "باي يولغين"، وحاكم الموتى الأسود الذي يسيطر على العالم السفلي وأرواح الموتى، ويسمى "ايرليك خان"، وكانت تلك الأرواح متعلقة بأرواح أجدادهم القدماء التي يقدسونها لاعتقادهم أنها تؤذيهم، ومن ثم كانوا يستعينون بقدرة الشامان للاتصال بها وبالعالم العلوي، فكان الشامان يقوم بدور الوساطة بين رجال القبيلة والعالم الروحية، ويقدم الصلوات والقرابين للأرواح والآلهة نيابة عنهم، كما كان يقوم أيضا بإيصال أرواح الموتى إلى مقرها الأخير في مملكة "ايلريك" السفلى. (ينظر، نوراك تشادويك وفكتور جيرمونسكي: ملاحم آسيا الوسطى الشفوية، ترجمة: رباب ناصيف، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1995م، ص 244-245؛ إسماعيل عبد العزيز الخالدي: العالم الإسلامي والغز والمغولي، مكتبة الفلاح الكويت، بيروت، 1404هـ/1984م، ص34).

⁹ كيتشانوف، المرجع السابق، ص. 40.

¹⁰ الجويني، المصدر السابق، مج1، ص. 77.

العناية الإلهية، وطغى على تيموجين في خاطره بأن السماء الأزلية هي الوحيدة من تُسَطَّر مَسَارَه¹¹. وترعاه من الأعلى.

وفي نفس السياق كان جنكيزخان قد سَمِعَ مناماً رآه شخص يُدعى "خورتشي" حيث قال له: "رأيت ثوراً أهليا ارقط بلا قرنين يَجْرَ يَوْرَتَا (خيمة) رئيسة بعجلات ويتعقبه تيموتشين (جنكيزخان) الذي يسير بطريق المَعْبَد والثور يَجَارُ وَيَجَارُ مُرَدِّدًا: الأرض والسماء اتفقتا على تتصيب تيموتشجين قيصراً للإمبراطورية، فليأخذ بزمام الإمبراطورية"¹².

لذلك إن فكرة حكم العالم كانت مُبلورة في ذهن تيموجين (جنكيزخان) منذ صِغره، فذات مرة في أيام شبابه نهض مُنذ الصباح الباكر فوجد جُزأً من شعره أصابه الشيب، فسأله المُقربون: يا أيها الوالي السعيد! إن عُمرِكَ لم يبلغ بَعْدُ سِنَّ الشيخوخة، فلماذا ظهر الشيب على نواصيك؟ فرد قائلاً: بِحُكْمِ أَنَّ الإله العلي أراد أن يجعلني قائداً وزعيماً لعشرات الآلاف (تومان) والأفليات، ونَفَخَ ببوق خيرات، لهذا وسمني بعلامة الشيخوخة، التي تُعَدُّ مظهرًا للزعامة¹³، وبذلك يكون جنكيزخان قد عُين حاكماً على المغول بإرادة السماء والرحمة الإلهية.

وإن الكثير من المغول كانوا يعتقدون ولم يشكوا مطلقاً في أَنَّ الإله في السماء كان قد قَدَّرَ وقَضَى بأن يُصبح تيموجين (جنكيزخان) الحاكم المطلق ليس فقط لقومه، بل ولمنغوليا جميعها، هذا إن لم تكن الأغلبية قد بدأت تظن بأنه الحاكم الأعلى لجميع شعوب الأرض، فمثلاً: عندما انظم "كرتشي" -ينتسب إلى عشيرة بَارِين - إلى جنكيزخان قال له: "إن السماء قد قضت أمراً وذلك بأن تيموجين سيكون حاكم المملكة العلى...، فإن ذلك (الأمر) قد أخبرني به الروح القدس حيث تم ذلك على مسمع مني، وأمام عيني، وها أنا ذا أمييط اللثام عن هذا الخبر إليك يا تيموجين"¹⁴.

ثانياً: القوريلتاي (الاجتماع) وتعيين تيموجين حاكماً مطلقاً على المغول والعالم وإطلاق لقب "جنكيزخان"
ما أن انتصف العقد الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، حتى أصبح "تيموجين" متربعا على رأس الهرم بين مُختلف العشائر المغولية وكافة قبائلها، توحدت لتكون قوة واحدة بفضل مجهوداته، فدعي إلى اجتماع عام بمنغوليا، عُرف في الأوساط التاريخية بـ "القوريلتاي"¹⁵، عقد الاجتماع في بداية

¹¹ كيتشانوف، المرجع السابق، ص. 131.

¹² نفسه، ص. 124.

¹³ ي.إ. كيتشانوف، المرجع السابق، ص. 341-342.

¹⁴ ب.با. فلاديميرستوف، المرجع السابق، ص. 25-26.

¹⁵ الغامدي سعد بن محمد حذيفة: الياسا دراسة تحليلية واستنتاجية لبعض نصوصها، مجلة كلية الآداب، مج 37، 1989-1990م، الإسكندرية-

مصر، ص. 88-89.

فصل ربيع 602-603هـ/ فبراير-مارس عام 1206م، عند منابع نهر أونون، ورفرت على المؤتمرين راية بيضاء مقدسة، ذات تسعة قوائم¹⁶.

حضر الاجتماع جميع الأمراء وكافة القادة العسكريين، ورؤساء العشائر والقبائل بوسط آسيا، من أجل التشاور فيما بينهم في شؤونهم السياسية بما يخدم مصلحتهم، وكان "تيموجين" (جنكيزخان) يتمنى بأن ينتهي الاجتماع بقرارات تدعم سلطانه مدى الحياة دون الحد منها، وقد نجح فيما كان يصبو إليه فقد خرج منه بعد أن نصّبوه حاكماً مطلقاً، ليس على المغول ومن يمثلهم فحسب بل أصبح هو الشخص الوحيد الذي اعترف له بحكم العالم بأسره، وأعطوه لقباً مناسباً لذلك النفوذ وهو "جنكيزخان" أي خان العالم¹⁷.

وتخبرنا كتب التاريخ أنه بعد أن عقّد القوم مجلساً وتشاوروا في الأمر مع بقية الأعضاء الآخرين (المعنيين) قام ألتان، وكوتشار، وساتشال (هو ابن حفيد "قبول-خان" جد جنكيزخان)، وأبلغوا تيموجين (جنكيزخان) بقراراتهم قائلين: "لقد قررنا جميعاً بأن نُنصبك خاقاناً. وعندما تُصبح خاقاناً، فإننا نَكُون على الدوام في المقدمة في كل معركة (نخوضها) ضد أعدائك، فإذا ما تم لنا أسر بنات ونساء جميلات، فإننا سوف نُقدمهن إليك، وسوف نسرح باكرين في صبيحة كل يوم للصيد وسوف نُقدم إليك كل ما يمكن أن نصيده من الحيوانات. (ولسوف نُطيع كل ما تأمر به) وإذا ما عصينا وأمرك في وقت الحرب، أو إذا علمنا أي شيء فيه زمن السلم (فإنك في جِلٍ بأن تفعل ما تشاء) ولك حينئذ أن تأخذ منّا زوجاتنا ومواشينا وأن تتركنا نواجه مصيرنا المحتوم في القفر المجذب، وقاموا بإعلان تيموجين خاقان وأعطوه اسم جنكيز¹⁸".

هناك رواية فصّلت في كيفية إطلاق لقب جنكيزخان على تيموجين، مفادها: ما أن أجاز تيموجين ذلك القرار فأقسموا ونحروا قرباناً للسماء العليا الخالدة، ثم رفعوا راية بيضاء ذات تسعة أسنن، وقام فاغان جميع الألويس ونقش خاتم من الحجر يُسمى "خاسبو"، وكان طائر أسود جالساً على مخرج الدخان يغرد بصوت: "جنكيز، جنكيز"، غناء هذا الطائر هو السبب في أن تيموجين مُنح اسم جنكيز عندما نصبوه قاغاناً، ثم رفع رايته البيضاء ذات الألسن التسعة عند منابع نهر أونون، وتربع على العرش "فاغان الأعظم"¹⁹. وفي رواية أخرى أنه عندما تم انتخاب تيموجين أمام الخيمة جلس طائر ذو خمسة ألوان يشبه طائر القُبْرَة على حجر مُربع، وكان يُغرد "جنكيز، جنكيز"²⁰.

هكذا كانت كلمات القوم حيث حدد المجتمعون الذين ينتمون إلى طبقة الأرسنقراطية المغولية، علاقاتهم التي تربطهم بحاكمهم الجديد (جنكيزخان)، وأخذوا على أنفسهم قسم الولاء له، وحددوا مطالبهم التي تمثلت في

¹⁶ كيتشانوف، المرجع السابق، ص. 205.

¹⁷ الغامدي، المرجع السابق، ص. 88-89.

¹⁸ ب.با. فلاديميرستوف، المرجع السابق، ص. 62-63.

¹⁹ كيتشانوف، المرجع السابق، ص. 129.

²⁰ نفسه، ص. 132.

النصر على أعدائهم لغرض الحصول على كل شيء من: أراضي الفسيحة ذات الصيد الوافر، ونساء جميلات، والجياد، في المقابل تعهدوا بإعطاء حاكمهم أنفس الأشياء²¹.

ومن الصعب شرح معنى الكلمة "جنكيز" وإن كلمة جنكيز المغولية هي مرادف للكلمة التركيبية "تانغيس" وتعني "بحر" أو "محيط"، وبهذا فإن لقب جنكيزخان يعني "خان المحيط"، "الخان العريض والقوي بلا حدود كالمحيط، والذي يعني مجازاً "حاكم الكون"، وهناك رأيين في تفسير لقب "جنكيز" مغولية وصينية، الأخيرة تتبع مصدر اللقب من الصين عبر "التشجور تشجينيين" وتُفسرُه بمساعدة العبارة الصينية "تيان تسي"، أي "المصطفى من قبل السماء"، أي الحاصل على السلطة بإرادة السماء (الإله الأعلى)، أما الرواية المغولية فتربط اللقب بالمعتقدات السحرية، حيث إن السماء أيضاً إله أعلى وأبرزت إرادتها عبر الطائر الذي غرد بلقب الخاقان الجديد "جنكيز" وهي كلمة مغولية، وغير مفهوم فهي اسم روح من الأرواح المغولية أو أنها تركيبة الأصل "تينغيز" أي البحر²². وكلمة "جنكيز" كان اسماً لسبح نور، حيث كان الشامان المغول يعبدونه في ذلك الوقت²³. وفي جميع الأحوال فإن تيموجين نُصّب خاناً بإرادة السماء.

كان الساحر والشامان "كوكوتشو" ابن مونليك معروفاً بلقب "تب-تكري"، وكلمة تكري تعني باللغة المغولية السماء أو الله، وقد اكتسب "كوكوتشو" ثقة تيموجين (جنكيزخان)، الذي يظهر أنه اعتقد اعتقاداً عميقاً بأن كوكوتشو كان يستطيع التحدث مع الأرواح، وأن باستطاعته أن يصعد إلى السماء، وأنه كان يمتلك حماة أقوياء من العفاريت والجن²⁴، وقد لعب ساحر جنكيزخان والشامان "كوكوتشو تاب"، الوسيط بينه وبين السماء السرمدية العظيمة، دوراً بارزاً في الاجتماع العام "كوريلتاي" العظيم الذي عُقد في عام 602-603م، بتريسيخ قُدسية حُكم جنكيزخان على المغول، حيث أعلن بأن السماء الزرقاء السرمدية الوجود قد أيدت جنكيزخان، وكان يمتطي حصانه الأبيض ويزرع بين المغول الخوف الخرافي، فيُصدق بسطاء القوم أنه يؤدي رسالة السماء²⁵.

ومن المؤكد أن العديد من المغول وأتباع جنكيزخان كانوا يعتبرونه رجلاً مُقدّر له أن يحكم المغول وأنه عُين من طرف السماء، كما أن جنكيزخان نفسه استسلم إلى أن الإله الخالد في السماء هو الذي عيّنه حاكماً مطلقاً على المغول وعلى العالم ولم يتوانى عن إشاعة ذلك بين الناس، كما أنه لم يُصيغ أية فرصة للترويج لتلك الفكرة والاستفادة منها لتحقيق مصالحه الشخصية²⁶.

وهكذا تم اختيار تيموجين بمنغوليا في منطقة "خار تشجور كين" على نهر سانغور بالقرب من بحيرة "كوكونور"، والحقيقة أن اختيار جنكيزخان كان بفضل أصوله المرموقة وصفاته الشخصية الخاصة، ودهائه

²¹ ب.يا. فلاديميرستوف، المرجع السابق، ص. 63-64.

²² كيتشانوف، المرجع السابق، ص. 133.

²³ ب.يا. فلاديميرستوف، المرجع السابق، ص. 64.

²⁴ نفسه، ص. 123.

²⁵ ي.إ. كيتشانوف، المرجع السابق، ص. 243.

²⁶ ب.يا. فلاديميرستوف، المرجع السابق، ص. 64-65.

ونكائه الكبير، التي قدرها فيه معاصروه من التُوِيُون (القادة أو الحرس الخاص) وعامة القوم (أرات) بكل جدارة، وقد تمنوا رؤية منغوليا موحدة تحت سلطة قوية، ولكن في نظر جنكيزخان هو يرى أن السماوات دائمة الزرقة هي التي اختارته بنفسها²⁷.

وبعد الاجتماع خطب جنكيزخان في المجتمعين قائلاً: "لا يسعني إلا أن أعبر بكلمات الشكر والامتنان لتلك النعمة الإلهية، وسوف أمنح (قيادة الكتائب العسكرية ذات) الآلاف إلى أولئك الذين عملوا معي (منذ البداية) في تكوين (المملكة) الخانية، وإنني لمعينهم قادة حتى يترأسوا إدارة قيادة (تلك الكتائب العسكرية ذات الألو)"²⁸.

والحقيقة أن جنكيزخان كان داهية وهو يافع، مدركاً لقيمة الألقاب، فعد والده يسكاي "خانا"، حيث قدم هدية ثمينة ل"فان قاغان" حاكم قبائل الكرايت، تَمَثَلت في جلد فروة السمور السوداء، مسوغاً ذلك بـ: "بالتأخي الذي تم بين (فان خان) ووالده (يسوكاي خان) في وقت ما، وبهذا أصبح (فان خان) مثله مثل والده (يسوكاي خان)، وإذا كان جنكيزخان عدّ والده خاناً، فالأكيد أنه سيصبح هو كذلك خاناً أو أكثر من الخان"²⁹.

ويبدو أن جنكيزخان كان قد عُين خاناً قبل الاجتماع العام أو القوريلاي (1206م)، وكان ذلك في سنة 1189م أو 1190م، ونستخلص ذلك من الحوار الذي دار بين جنكيزخان وأتباعه كل من "ألتان" و"خوتشار" -كانا من ضمن الذين نصبوا تيموجين خاناً - التمرد والخروج عن سلطته والانضمام لـ"جاموخا" من جديد، فذكر لهم تيموجين بعض القرائن المصاحبة لاختياره خاناً، قائلاً: "هل قررتما أن تهجراني بوضوح أم أنكما رسمتما هذا بغدر ورياء؟ لقد عرضنا عليك ياخوتشار كابن نيكون تاي تشجي أن تكون خاناً، ولكنك رفضت بنفسك، ولك يا ألتان قد عرضنا... ولكنك رفضت أيضاً، لا أستطيع أن أمر الآخرين من هم من ذوي أصول رفيعة قائلاً: كونا خانات يا ساتشا وتاي تشو كأبناء بارتان باتور، وهكذا لم يكن لدي حق أن أنصبكما خانات، فأنا المنصب والمعلن من قبلكما"³⁰.

ويبدو أن تيموجين أختير خاناً دون أن يُعطى لقب "جنكيزخان" ومعناها حاكم العالم، وهكذا يتضح أن تيموجين لم يكن من أفضل النبلاء من قومه، حسب نسبه وتم اختياره لمنصب الخان بوساطة النويون المغول وأقربائه، وبصورة أدق من قبل جزء منهم كما يبدو، وقبل كل شيء بفضل جدارته الشخصية³¹. ومن أجل حَصْر لقب "جنكيزخان" بما يحمله من نفوذ فيه فقط عمد إلى وضع مادة في قانون "الياسا" يُحرم فيها على الناس التلقّب بأي لقب مهما كان. وأن لا يحمل المرء مع اسمه أي لقب آخر، بل يكون اسمه مجرداً، وأن يقتصر في حمل اللقب على الرجل الذي يعتلى عرش الإمبراطورية المغولية، وأن لا يحمل هو أيضاً سوى لقب واحد فقط هو "جنكيزخان"، مثلما أورد ذلك الجويني في كتابه جهنكشاي قائلاً: "ومن

²⁷ كيتشانوف، المرجع السابق، ص. 126-127.

²⁸ ب.يا. فلاديميرستوف، المرجع السابق، ص. 100.

²⁹ كيتشانوف، المرجع السابق، ص. 104.

³⁰ نفسه، ص. 127.

³¹ نفسه، ص. 127-128.

العادات الحميدة التي سنّها الياسا القضاء على الألقاب الكثيرة ومظاهر التكلف التي كانت سائدة بين المغول والعظماء، فهم يحرصون كل من يجلس منهم على العرش بلقب واحد فقط، يضاف إلى اسمه الأول، وهذا اللقب هو "الخان" أو "القآن"، فلا شيء غير هذا يضاف إلى اسمه في أية كتابة رسمية وغير رسمية، أو عند التخاطب معه، وأما الأبناء والإخوة فيدعون بأسمائهم ويكتبون أسماءهم في المنشورات مجردة³².

وللتتويه هنا أن لقب "قآن" يعني "خان الخانات" ولم يكن معروفاً في عهد جنكيزخان، وقد بدأ في الظهور مع تقلد ابنه وخليفته "أكتاي" خان (627-639هـ/1229-1241م)³³ العرش، لكي يفرق بينه وبين الأمراء الآخرين من أسرته الذين تلقب كل واحد منهم بلقب "خان" بحكم مركزه كحاكم على الولايات كنائب للخان الكبير في منغوليا أو "القآن"³⁴.

من ثم كان ذلك القوريلتاي (الاجتماع العام) 1206م بمنغوليا تدعيماً لسلطة جنكيزخان التي اكتسبها بحد السيف في توحيد القبائل، ولم تُحد قراراته من نُفوذ جنكيزخان على مرّ الزّمن وتعاقب السنين. وبذلك نجح في تحقيق ما كان يهدف إليه من ذلك الاجتماع وهو حكم المغول والعالم. وأصبح القوريلتاي (الاجتماع العام) سلطة تُشريع لدى المغول وهو السلطة العليا في الإمبراطورية المغولية، وهذا في حدّ ذاته دُعم لسلطة الخان المغولي جنكيز ومن يحكم بعده، وتأكيداً لنفوذه بشكل قانوني بحيث يُصبح مفروضاً على حكم المغول بدون نزاع. وأصبح الخان يستمد نفوذه المُطلق وسلطته الواسعة على المغول والشعوب الأخرى بتفويض من الإله ومن اجتماع القوريلتاي. وكان جنكيزخان يُعتقد اعتقاداً راسخاً بأنه عيّن سلطاناً على المغول وأمّ العالم بتفويض من "القوريلتاي"، ومن ثم أصبح من المسلمات أن لا يتم اختيار أي شخص وتنصيبه على عرش المغول إلا من خلال ذلك الاجتماع العام، وأصبح عقد مثل ذلك الاجتماع وفي منغوليا أمراً قانونياً، لذلك خصّص له بنداً في دستور الياسا³⁵.

كذلك صمّن جنكيزخان في ذلك الاجتماع (القوريلتاي 1206م) الحكم له ولأبنائه والنّمكين له ولأسرته بالسلطة المطلقة على المغول مدى الحياة، ودون منازع من أحد (حصر السلطة في أسرته)، وسيُصبح اجتماع القوريلتاي مرة أخرى في عهد جنكيزخان أمراً شكلياً لأن قوة الخان المغولي وفُوق نتائج الاجتماع الأول الذي عقد في عام 602-603هـ/1206م كانت مُطلقة وأوامره نافذة³⁶. وقد ظلّ القوريلتاي (مجلس عامة الشعب) على الدوام كما هو في نظامه الأول الذي أوجده جنكيزخان، اجتماعاً لرجال عشيرته ولأفراد المغول من الطبقة الأرستقراطية، التي كانت تُدين بالولاء والطاعة العمياء للخان وأسرته، كرئيس

³² الجويني، المصدر السابق، مج.1، ص. 66-67.

³³ هو الابن الثالث لجنكيزخان، ومعنى اسمه بالعربية هو العروج إلى الجبل، اشتهر بالعقل وسداد الرأي والعدل ولكن كان ميالاً إلى اللهو والشراب. اعتلى عرش الإمبراطورية المغولية سنة 626هـ/1228-1229م (ينظر، الهمذاني رشيد الدين فضل الله: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيزخان من أوكتاي قآن إلى تيمور قآن، تعريب: الصياد فؤاد عبد المعطي، مراجعة، يحي الخشاب، دار النهضة العربية للنشر والطباعة، بيروت-لبنان، 1983م، ص. 16-30).

³⁴ الغامدي، المرجع السابق، ص. 91.

³⁵ الغامدي، المرجع السابق، ص. 92-94.

³⁶ ب.يا. فلاديميرستوف، المرجع السابق، ص. 170.

للمبراطورية المغولية إذ أنه في نظرهم هو الحاكم المُعين من قِبَل قُوَّة السماء الزرقاء السرمدية الوجود (مونك تنكري - بين كوتشوندور)، لذلك قام جنكيزخان نفسه بتعيين خليفته، تمثل في ابنه الثالث أوكتاي خاناً على المغول (627-639هـ/ 1229-1241م)³⁷، وبذلك ورث الحكم في أسرته وحصره بين أبنائه.

ثالثاً: قانون الياسا وتجسيد سلطة الخان المطلقة وتوريث الحكم لأبنائه

1. قانون الياسا:

من المفارقات التي جعلها جنكيزخان في عقد اجتماع القوريلتاي هو أن الاجتماع لا يتم إلا بإخراج دستور الياسا المدون في طومار (كتاب كبير) ويتلى على الجميع وتطبق أوامره (أي أن تشريع جنكيزخان أصبح مقدساً لا يجوز تجاوزه).

أولى جنكيزخان أهمية كبيرة في تصنيف قانون الياسا وتطبيقه، حيث قال: "إذا لم يرق الحُكَّام، الذين يأتون بعد الحاكم الحالي (يعني نفسه)، وعِليَّة القوم والأبطال، والقادة العسكريون، الذين يحيطون بهم (بالحكام) بتنفيذ جميع الأشياء التي جاءت في الياسا، فإن عمل الحكومة سيعرض للأخطار المحدقة به من حوله، ومن ثم فإنه سينتهي. وحينئذ فإنهم سيكونون في غاية السعادة لأنهم وجدوا جنكيزخان ثانياً، ولكنهم سوف لا يجدون أحداً قط. ومرة أخرى: إذا قام الأبناء والأحفاد، والذين سيولدون ويحتلون مكائتي، (لمدة) خمسمائة أو ألف سنة، أو عشرة آلاف سنة منذ الآن، بالحفاظ على هذه القوانين ولا يغيرون ياساق جنكيزخان... فإن السماء سوف تمنحهم نجاحاً مذهلاً وثراء اقتصادياً عظيماً"³⁸.

وبذلك نجد أن الياسا قد أصبحت إلزامياً على الجميع بما في ذلك جنكيزخان نفسه، وتم ابتكار القانون الذي لا يمكن تغييره مدى العصور، وأنه سيخضع إليه الجميع، الأبناء والأحفاد والأجيال القادمة من المغول، ويتم تنفيذ ما جاء فيه، والسير على خطاه بنفس المستوى الذي كان عليه في وقت جنكيزخان، لأنه ببساطة صادقت عليه السماء الزرقاء السرمدية³⁹. ومن ثم أصبح وثيقة مقدسة مثله مثل الكتب السماوية الأخرى.

2. نظرية الحكم الإلهي أو التفويض الإلهي:

ورد في كتاب التاريخ: أن: السماء والأرض قد اتفقتا فيما بينهما، وقررتا أن تيموجين قد اختير ليكون الحاكم على الأرض. وأيضاً أن: يُخضع جميع أمم الأرض لسلطانه". وفي رواية أن جنكيزخان اخترع قانون الياسا اختراعاً، حيث كان يسيح في الصحراء ويصعد في الجبال في الشتاء عارياً وحافياً ويغيب أياماً ثم يأتي ويقول لهم: "كلمني الله (تعالى) - يقصد تنكري إله السماء - وقال لي أن الأرض بأسرها قد أعطيتها لتيموجين وولده وسميته جنكيزخان"⁴⁰.

³⁷ ي.إ. كيتشانوف، المرجع السابق، ص. 212.

³⁸ ب.با. فلايميرستوف، المرجع السابق، ص. 114.

³⁹ نفسه، ص. 114-115.

⁴⁰ ابن العبري، المصدر السابق، ص. 394-395.

لقد لعب ساحر جنكيزخان والشامان "كوكوتشو تاب" ابن مونليك المنزل من السماء "الوسيط" بينه وبين السماء السرمدية العظيمة، دوراً بارزاً في الاجتماع العام "كوريلتاي" العظيم الذي عقد في عام 602-1206م، بترسيخ قُديسية حُكم جنكيزخان على المغول حيث أعلن بأن السماء الزرقاء السرمدية الوجود قد أيدت جنكيزخان، الذي كان قد قُدرت له بأن يكون مندوبها الخاص (جاي كتاو/ Jaygatu) إلى الأرض، وإلى كافة عشيرته، وبسرعة تلقف جنكيزخان ذلك الكلام وقال: "إن السماء قد أمرتني بأن أحكم عامة الشعب، حيث استطعت أن أهزم قبائل الكيراييت بمساعدة وبحماية السماء الخالدة وأن أصل إلى المنزلة الأسمى"⁴¹.

وبذلك أصبحت روح عشيرة جنكيزخان الحارسة (سولده/ Sulae) تَسكن في تلك الراية البيضاء المنصوبة عالياً على تسع قوائم، فالإله الحارس سوف يحمي كتائبه العسكرية، وسيقود رجالها إلى النصر، وسوف يُخضع كافة شعوب العالم إلى حُكمه، لأنَّ السَّمَاء الزَّرْقَاء السَّرْمِدِيَّة الوجود قد قضت وقدَّرت بذلك الأمر، فجنكيزخان أصبح خاناً بقوة وقدرة السماء الأبدية (مونكك تنكري - ينكوتشون-دور)، ومنذ ذلك الوقت أصبح المغول يُقدسون راية الروح الحارسة (سولده/ Sulae) البيضاء، وكانوا يعتقدون بأنها هي التي منحت النصر لجيش المغول، كما اعتقدوا بأنَّ روح جنكيزخان العظيم نَفَسها دَخَلت واستقرت في راية الروح الحارسة (سولده/ Sulae)، وبذلك أصبح جنكيزخان نفسه روحاً حارسة لعشيرته المجيدة⁴².

وفق هذا الأمر فإنَّ السلطة العليا تركزت في شخص الخان، واللقب الخاني يُعدّ صفة للسلطة العليا، ولو أن الخان لا يُصبح خاناً دون موافقة المُؤتمريين في الاجتماع العام (القوريلتاي)، ومن ثمَّ سلطه الخان كانت شمولية، وفي رواية أنّ شرعيته استمدتها من السَّمَاء وبُنيت على خضوع الشعوب الأخرى، فاستكان التابوعون وصار حُكمهم مُتعة، وأصبح العرش الخاني يسمى "سِرْج الغَيْبَة"، أما الدول التي لم تخضع فبعث لها الخان المغولي الأوامر بالخُضوع والولاء لأمر السَّمَاء، وذلك بالخضوع لممثليها على الأرض المتمثل في جنكيزخان، ومن هذا المنطلق عدم الاعتراف بالسلطة الخانية يُعدّ تمرداً وعصياناً، وهذا يُشبه كثيراً ما عُرف عند الأباطرة الصينيين حيث كان الإمبراطور يُعدّ "حاكماً لكل ما هو تحت الشمس"، ومن هذا دولة الخان المغولي لا تُعترف بالحدود، ودولته ممتدة على جميع سطح المعمورة، أي فكرة شمولية سلطة الخان المغولي وعدم السماح بوجود حاكماً آخر يضاهيه هي السائدة⁴³.

وبهذا الأمر أصبح جنكيزخان "شاماناً" بحكم الإله "تنكري" الذي كلمه من السماء، وأصبح هو وكلامه مقدسين، وإتباعه أمراً مقدساً ومفروضاً من السماء، وأنَّ أي إنسان فوق المعمورة لا يرضخ لنفوذهِ يُعتبر عاصياً لإرادة الله لذا وجب إنزال العقاب الصَّارم عليه. وأصبح التشريع (الياسا) الذي أتى به جنكيزخان مقدساً مثله مثل الكُتب السماوية الأخرى ولا يجوز تجاوزه. بما أنّ جنكيز قد أخبر بأنَّ إلهي السماء والأرض

41 ب.با. فلايميرستوف، المرجع السابق، ص. 102.

42 نفسه، ص. 102-103.

43 كيتشانوف، المرجع السابق، ص. 219.

قد اتفقا فيما بينهما على أن يكون هو حاكم المغول والحاكم الأوحد على الأرض، فلا بد أن يخضع له كل إنسان على وجه المعمورة، وأن يطيعه وتستسلم له كل الشعوب طواعية أو يتم القضاء عليها بحد السيف. ومن ثم إن جنكيزخان والمغول لم يكونوا يؤمنون بشيء اسمه الدولة أو الحدود، فلا دولة عندهم على وجه الأرض إلا دولة المغول المُدعمة من الآلهة، ويحكمها جنكيزخان ومن يرثه من أبنائه⁴⁴.

وقد تملكت جنكيزخان فكرة فرض سلطته على كل العالم وأن جميع أراضي المعمورة مهداة إليه من قبل السماء الأزلية، يحكما كيف يشاء، وكل من لا يؤمن بهذه الفرضية التي أتى بها جنكيزخان أعتبر من المتمردين على إرادة السماء، وأن هؤلاء شقوا عصا الطاعة على النظام الاجتماعي الذي أرسلته القوى العليا، والحرب ضد الخارجين عن هذا النظام الجديد لم تكن مسوغة أخلاقية فقط بل مقدسة وضرورية، فقد منح الخان القوة الخالدة من السماء، ومنحته الحماية والنعمة⁴⁵.

ولاشك أن هذه الفكرة وليدة تأثر جنكيزخان بالفكر الصيني أي ابن السماء، فقد عرف طريقة وخصوصيات الحكم الصيني عن طريق الراهب الصيني "تشان تشون" الذي أخبره أن الحكام هم مخلوقات سماوية مبعوثة من السماء لكي يعيشوا بين البشر، ومُسطر لهم الصعود إلى السماء، وفي عام 1222م منح المفكر الصيني "يلوي تشوتساي" التقويم الزمني لدولة المغول الذي أعده بنفسه لجنكيزخان وطور فكرة تتص على: "أنه بإرادة السماء فقط تمكن جنكيزخان من الفوز بالإمبراطورية، ذلك العمل العظيم الذي لا يمكن إنجازه بقوة الإنسان العادي، وإن المذهب المغولي يختلف عن نظيره الصيني فهو مذهب ملكي شمولي أما الصيني فكان يسعى لإخضاع الموالين إلى الثقافة الصينية، أما المغولي فكان هدفه الاستيلاء"⁴⁶.

وقد أصدر جنكيزخان عدداً من القوانين والأسس المُشرعة (الياسا)، ومنها يجب على المغول إخضاع كل العالم لسلطانهم، وألاً يقبلوا التعايش في سلام مع أية أمة ما لم تدين لهم شعبها أولاً بالولاء والطاعة⁴⁷. وقد ذكر مؤرخ المغول الجويني أن: أسلوب جنكيزخان كان مختلفاً في التعامل مع السلاطين والشعوب الأخرى التي يدعوها إلى طاعته، حيث لم يكن مثل الجبابرة المعتدلين بقوتهم وجيوشهم فيهددون ويتوعدون، بل كان يكتب لهم في الإنذار أنهم إذا لم يبقادوا لحكمه ويستسلموا "فإنه ما نعمله هو ما يعمل الله الأزلي"⁴⁸.

وقد أوكل جنكيزخان إلى المصلح الإداري "شيغي خوتو ختو" أمر تنظيم الدولة الجديدة، ووجهه بهذه الكلمات: "عندما نبدأ بمساعدة السماء الخالدة في إعادة بناء دولتنا الشعبية كن مقلة للنظر وأدناً للسمع! وأجر لي توزيعاً سكانياً متبايناً للقبائل في الدولة، وامنح أهلنا وأشقائنا وأبناءنا نصيبهم من القوم الذين يعيشون خلف جدران اللباد، المسمون بالطائعين، ثم وزعهم على النواحي، وعلى القوم الذين يستعملون

44 الغامدي، المرجع السابق، ص. 96-97.

45 ي.إ. كيتشانوف، المرجع السابق، ص. 350.

46 نفسه، ص. 350-352.

47 الغامدي، المرجع السابق، ص. 98. عن كاريني.

48 الجويني، المصدر السابق، مج.1، ص. 56.

الأبواب الخشبية ولا يحق لأي منهم تغيير تقسيمك!⁴⁹ والأمر الأخير يعدّ تحريماً مباشراً للخروج من ربة الملك.

رابعاً: جنكيز وتجسيد نظرية توحيد العالم على أرض الواقع

قام جنكيزخان بتأسيس مقرأ له بالقرب من بحيرة "بالتشجون" في شمال شرق منغوليا، وتعاضمت قوته وتنامت علاقته بالعالم الخارجي، وفي هذا المقر بالتحديد زاره التجار المسلمون أمثال: حسن وجعفر خوجا ودانشمند حاجب، وعرف منهم الأوضاع في شرق تركستان وما وراء النهر، وأيضاً اكتشف معلومات إضافية جديدة عن الصين، وقد أمد هؤلاء الثلاثة جنكيزخان بمعلومات قيمة عن دولهم، فبدأ يضع إستراتيجية للسيطرة سياسياً على آسيا⁵⁰.

عندما اعتلى "قاي شاو فان" عرش التشجور تشجيني الصينية في عام 1209، وعاصمته بكين، بعث بسفارة إلى مقر جنكيزخان مخبراً إياه استلامه السلطة، وطلب السفير أن يستلم جنكيزخان بنفسه الرسالة وهو راكعاً ويُعلن خضوعه للإمبراطور الصيني، ولكن الزمن تغير، فقد أصبح جنكيزخان أقوى من ذي قبل وأحلامه كبيرة، ولم يركع للسفراء فحسب بل قام بالبصق على ناحية الجنوب حيث مملكة "تسزين" على مرأى الجميع، واتهم الإمبراطور "التشجور تشجيني" بالغباء، ثم امتطى صهوة جواده منطلقاً ومظهراً احتقاره الكامل للمتخيل نفسه سيداً، وهذا يعني القطع التام للعلاقة⁵¹.

وفي رواية أخرى أن جنكيزخان قد عمّد قبل الشروع في السير على رأس الحملة العسكرية ضد الصين إلى إغلاق باب خيمته على نفسه، وظلّ قابلاً بداخلها وحده مدة ثلاثة أيام، وجنوده وقبيلته محيطون بالخيمة ويهتفون "تنكري! تنكري! (أيتها السماء أيتها السماء) وفي اليوم الرابع خرج عليهم من خيمته، وأعلن على رؤوس الأشهاد أنّ السماء السرمدية الوجود قد منحته النصر، والآن ما عليه إلاّ الذهاب ومعاينة حكام الكن، وقبل البدء في حملته العسكرية على الأراضي الصينية صعد إلى قمة التل كعادته، وفك حزامه وأزرار عباءته، ثم ركع وأدى دعاءه بخشوع قائلاً: "يا أيها الإله الأزلي! إنك السميع العليم بأن ألتان خان كان البادي بزرع بذرة الشقاق وداعية للانتقام، وبغير ذنب صرع أوكين باركاك وخامباكاي كآن، اللذين لا يهون عليا دمهما بالانتقام وبالقصاص فقط، فأرجو إن كنت على عدل، فابعث إلي من أعلى بمزيد من القوة!"⁵².

ثم امتطى صهوة جواده وتقدم للمعركة.

وقد جرت عدة حروب بين الطرفين وتمكن جنكيزخان من احتلال مملكة الإمبراطور الصيني واستولى على عاصمته بكين، مما اضطر الإمبراطور إلى إرسال رُسله إلى المغول لطلب السلام وبعث لجنكيزخان أميرة

⁴⁹ كيتشانوف، المرجع السابق، ص. 221.

⁵⁰ كيتشانوف، المرجع السابق، ص. 179.

⁵¹ نفسه، ص. 240.

⁵² ب.يا. فلاديميرستوف، المرجع السابق، ص. 136-137.

صينية "تشجيا غونتشجا" لتكون عروساً له، كما بعث معهم كمية من الذهب والمنسوجات الحريرية وخمسمائة شاب وشابة وثلاثة آلاف فرس⁵³.

بعد احتلال جنكيزخان بكين عاصمة الصين سنة 1215م بعث سلطان الدولة الخوارزمية رسولا تمثل في "السيد الأجل بهاء الدين الرازي" للتأكد له من صحة الخبر، وهل حقيقة احتل المغول بلاد الصين، ويعرف له أحوال جيش المغول ومدى تطوره. استقبل جنكيزخان رُسل خوارزمشاه بكل ترحاب، وغمرهم بالهدايا وفي أثناء عودتهم أرسل معهم هدايا كثيرة إلى السلطان الخوارزمي ورسالة جاء فيها: "قولوا لمحمد خوارزم شاه إنني ملك المشرق وأنت ملك المغرب، فيجب أن يتوطد بيننا العهد والمودة والمحبة والسلام، وأن تروح وتجي التجارة والقوافل بين الطرفين، وأن يحضروا إليك الطرف والبضائع التي توجد في ولايتي، وكذلك تفعل بلادك"⁵⁴.

وبغض النظر إن كان جنكيزخان في هذا الوقت كان يحكم بالسيادة على العالم لكن هذا الاتفاق يشبه إلى حد ما اقتسام العالم بين الطرفين، فبعد استيلائه على الصين لم يفكر بتحجيم دولته عند حدود منغوليا، إنما كان يعد نفسه ملك الشرق بأسره، وفي نفس الوقت جعل من خوارزمشاه دونه في المرتبة عندما قال له "أنت كأحد أبنائي" ومعروف أن الابن دائماً يدخل تحت طاعة والده⁵⁵.

وفي رسالة أخرى بعد عقد السلام التجاري بين الطرفين جاء فيها: "التجار هم عماد الدولة، إنهم الذين يجلبون للقادة الأشياء الثمينة والنادرة، ولا يوجد ما يسوغ معاكستهم في هذا الشأن، ومن جانبي لا توجد عندي أي نوايا لمعارضتهم في الاتجار معكم، يترتب علينا العمل معاً وبشكل جماعي من أجل نهضة أقاليمنا وعمرانها، لهذا فقد أصدرنا أمراً بأن يسود السلام على الأرض بين جميع الدول، حتى يتمكن التجار دون خوف من السفر في البلدان، الأغنياء والفقراء سيعيشون في سلام وسيحمدون الله"⁵⁶، الرسالة تحل فكرة واضحة لمحاولة جنكيزخان بسط سيادته على العالم، فقد أعلن نفسه حاكماً على العالم.

الخاتمة:

خلصت هذه الدراسة إلى عدة نتائج، يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

1. عمل جنكيزخان في بداية حياته على توحيد قبائل الغول المتناحرة تحت سلطته بحد السيف وقد شن عدة حروب لتحقيق ذلك.
2. استغل جنكيزخان سلطة رجال الشامان المغول (السحرة أو الوسطاء بين البشر والألهة) لكي يُمرر فكرته الداعية إلى أن السماء المقدسة هي التي عينته حاكماً على المغول وطلبت منه إخضاع جميع

⁵³ ي.إ. كيتشانوف، المرجع السابق، ص. 263.

⁵⁴ الجوزجاني أبي عمر منهاج الدين عثمان منهاج الدين: طبقات ناصري، ترجمة وتقديم: عفاف السيد زيدان، ج.2، المركز القومي للترجمة، القاهرة-مصر، 2013م، ص 121-122.

⁵⁵ ي.إ. كيتشانوف، المرجع السابق، ص. 277-278.

⁵⁶ نفسه، ص. 279-280.

- شُعْب المعمورة لسلطانه، وقد عمل الشامان دوراً بارزاً لنشر الفكرة بين الغول حتى أصبحت مُقدسة ولا يُمكن الخُرُوج عنها.
3. بعد ذلك قام جنكيزخان بالتخلص من كبير الشامان الذي روج لفكرته وقام بتريسيخ فكرته في الاجتماع العام (القوريلتاي) الذي عقده في سنة 1206م وخرج منه بقرارات حاسمة وأهمها تريسيخ الحُكم في شخص جنكيزخان مدى الحياة وتوريثه في أسرته، فضمن عدم منافسته من أي أطراف أخرى بمنغوليا.
4. خطى جنكيزخان بعد ذلك خُطوة كبيرة بحيث رُوج إلى فكرة مفادها أنّ السماء السرمدية أمرته بإخضاع جميع شُعوب الأرض لسلطانه، وبذلك بدأ بشن حُرُوبه لتحقيق إرادة الآلهة وكلّ من يُعارض يتم تسليط أشد العذاب عليه.
5. يمكن القول إن جنكيزخان استغل الوضع السائد في منغوليا وطرح فكرة التفويض الإلهي وتمكن من تجسيد فكرته بين قبائل المغول تارة بسلطة الشامان (السحرة) المُقدسة وتارة بحد السيف، بعد ذلك استطاع تجسيد فكرته الرامية إلى إخضاع جميع شعوب العالم إلى سلطته وكل ذلك تجسيدا لإرادة السماء العليا، وقد تمكن في تجسيد فكرته على أرض الواقع.

المصادر والمراجع:

- ب.يا. فلاديميرستوف: حياة جنكيز-خان الإدارية والسياسية والعسكرية، ترجمة من الروسية للإنجليزية د.س. ميرسكي، ترجمة إلى العربية سعد بن محمد حذيفة الغامدي، جامعة الملك سعود، الرياض-السعودية، 1403هـ/1983م.
- تشادويك نوراك وجيرمونسكي فيكتور: ملاحم آسيا الوسطى الشفوية، ترجمة: رباب ناصيف، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1995م.
- الجوزجاني أبي عمر منهاج الدين عثمان منهاج الدين: طبقات نصري، ترجمة وتقديم: عفاف السيد زيدان، ج.2، المركز القومي للترجمة، القاهرة-مصر، 2013م.
- الجويني اعلاء الدين عطا ملك: تاريخ فاتح العالم جهن كشاي، تحقيق وتصحيح: محمد عبد الوهاب القزويني، ترجمة: السباعي محمد السباعي، المركز القومي للترجمة، القاهرة-مصر، 2007م، مج.1.
- الخالدي إسماعيل عبد العزيز: العالم الإسلامي والغز والمغولي، مكتبة الفلاح الكويت، بيروت، 1404هـ/1984م.
- الصياد فؤاد عبد المعطي، مراجعة، يحي الخشاب، دار النهضة العربية للنشر والطباعة، بيروت-لبنان، 1983م
- ابن العبري غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون الطبيب الملطي: تاريخ مختصر الدول، صححه وفهرسه الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، لبنان، 1415هـ/1994م.
- الغامدي سعد بن محمد حذيفة: الياسا دراسة تحليلية واستنتاجية لبعض نصوصها، مجلة كلية الآداب، مج 37، 1989-1990م، الإسكندرية-مصر.